التاريخ

إسهامات الحضارمة القضائية في العصر العباسي الثاني (232-656هـ)

طالب دكتوراه: محمد خالد أحمد ثابت
كلية الآداب، جامعة عدن

الملخص

استعرض هذا البحث إسهامات الحضارمة القضائية في العصر العباسي الثاني (232–656هـ)؛ وذلك عن طريق التعريف بأبرز القضاة الحضارمة، الذين تولّوا ولاية القضاء في الشام ومصر والمغرب، وهي من أهم الأقاليم الإسلامية، التي وجد فيها نخبة كبيرة من العلماء والقضاة الحضارمة.

وقد رصد البحث أبرز القضاة الحضارمة، الذين شاركوا بفاعلية في إدارة شؤون القضاء في هذه الأقاليم، وأسهموا في تطويره علميًّا وإداريًّا، بما عُرف عنهم من فقهٍ راسخٍ، وعدلٍ، ونزاهةٍ، وسعةِ علمٍ، هو ما جعلهم من الشخصيات البارزة في التاريخ القضائي الإسلامي.

وعرض البحث إسهامات الحضارمة في القضاء، عن طريق جهودهم في تطبيق أحكام الشرع، وتخريج جيلٍ من العلماء والقضاة الذين حافظوا على استقامة القضاء وعدله في ظل الدولة العباسية، وكذلك عن طريق إسهاماتهم في تأسيس أو نشر مدارس فقهية تطبيقية، التي عن طريقها شاركوا في صياغة ملامح الفكر القضائي الإسلامي في العصر العباسي الثاني.

الكلمات المفتاحية: القضاء، الحضارمة، العصر العباسي الثاني، الولاية.

Abstract

Abbasid era (232-656 AH), by introducing the most prominent Hadrami judges who held judicial office in the Levant, Egypt, and North Africa, which are among the most important Islamic regions.

These regions were home to a large number of Hadrami scholars and judges, The research identified the most prominent Hadrami judges who actively participated in managing judicial affairs in these regions and contributed to its scientific and administrative development, thanks to their well-known deep understanding of jurisprudence, justice, integrity, and broad knowledge, making them prominent figures in Islamic judicial history.

The research addressed the contributions of the Hadramis to the judiciary through their efforts in applying Sharia rulings and producing a generation of scholars and judges who maintained the integrity and justice of the judiciary under the Abbasid state. It also examined their contributions to establishing or spreading applied schools of jurisprudence, through which they participated in shaping the features of Islamic judicial thought in the second Abbasid era.

Keywords:

The judiciary, the Hadramis, the second Abbasid era, the province

المقدمة:

يُعدّ القضاء أحد أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، التي جسّدت قيم العدل والمساواة، وأسهمت في بناء المجتمع الإسلامي على أسسٍ راسخةٍ من الشرع والعلم والإنصاف، وقد تميزت الدولة الإسلامية، منذ نشأتها وحتى العصور المتأخرة، بوجود نخبةٍ من العلماء والقضاة، الذين جمعوا بين الفقه والحديث والرواية، فكانوا قدوةً في النزاهة والاستقامة، ومثالًا يُحتذى في إقامة العدل وإحياء روح الشريعة بين الناس.

ومن بين هؤلاء العلماء برز القضاة الحضارمة، الذين انتشروا في الأمصار الإسلامية المختلفة، حاملين معهم إرثهم العلمي والفقهي، ومُسهمين في إثراء الحياة القضائية والعلمية في المشرق والمغرب على حدٍّ سواء.

لقد امتد أثر الحضارمة القضائي من المدينة والبصرة ومكة إلى الشام، والعراق، ومصر والمغرب، والمشرق والأندلس، فكان لهم في كل بلدٍ أثرٌ واضحٌ في تطبيق أحكام الشرع، وتخريج جيلٍ من العلماء والقضاة الذين حافظوا على استقامة القضاء وعدله في ظل الدولة العباسية، وما تفرع عنها من دولٍ وإماراتٍ تابعة.

وتُظهر سير هؤلاء القضاة أن الحضارمة لم يكونوا مجرد ناقلين للعلم؛ بل كانوا مؤسّسين لمدارس فقهية تطبيقية، عن طريقها شاركوا في صياغة ملامح الفكر القضائي الإسلامي في العصر العباسي الثاني.

تكمن أهمية هذا البحث من كونه يسلّط الضوء على جانبٍ قلّما تناولته الدراسات التاريخية بالتفصيل، وهو إسهام القضاة الحضارمة في النظم القضائية في الأمصار الإسلامية الكبرى، ولا سيما في الشام ومصر والمغرب، التي سينحصر البحث عليها، ففي هذه الأمصار ظهر عددٌمن القضاة أسهموا في تسيير القضاء، وعلى الرغم من أن هناك دراسات عن القضاء، لكنها لم تُعطِ القضاة الحضارمة القدر الكافي من الدراسة والتحليل، على الرغم من دورهم القضائي الفاعل.

ومن هنا، يسعى هذا البحث إلى إبراز مكانة هؤلاء القضاة الحضارمة في التاريخ القضائي الإسلامي (العصر العباسي الثاني)، وتوثيق سيرهم وجهودهم القضائية التي أسهمت في تطور في تسيير المؤسسة القضائية.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف العلمية، أبرزها: رصد إسهامات القضاة الحضارمة في العصر العباسي الثاني، والتعريف بأبرز القضاة الحضارمة الذين تولّوا ولاية القضاء في الشام ومصر والمغرب، وإبراز دور حضرموت بوصفها مركزًا علميًّا مؤثرًا صدّر العلماء والقضاة إلى حواضر الإسلام المختلفة، وكذلك توثيق العلاقة بين القضاء والعلم عن طريق استعراض سيرهم المليئة بالعطاء العلمي والتأليف والتدريس.

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي المقارن؛ وذلك بتتبع تراجم القضاة الحضارمة في كتب الطبقات، والتاريخ، والتراجم، والسير، مع تحليل النصوص التاريخية وربطها بالسياق السياسي والاجتماعي لكل إقليم، وقد جرى توثيق المعلومات من مصادرها الأصلية؛ لضمان دقة الروايات وتكامل الصورة العلمية.

المبحث الأول: إسهامات القضاة الحضارمة في الشام:

يُعَدُّ القضاء الإسلامي من أهم ركائز الدولة الإسلامية، فهو الضامن لاستقامة الحياة العامة، والمظهر الأبرز لتطبيق مبادئ الشريعة في المجتمع؛ لذلك ازدهر هذا النظام في الأمصار الإسلامية كافة، ومن بينها بلاد الشام التي كانت مركزًا علميًّا وإداريًا بارزًا منذ صدر الإسلام، وبلغت ذروتها في العصر الأموي، ثم العصر العباسي؛ فقد نشطت فيها الحركة العلمية، وتطورت بنيتها الإدارية والقضائية.

وفي هذا الإطار، برز العلماء والقضاة الحضارمة، الذين شاركوا بفاعلية في إدارة شؤون القضاء في بلاد الشام، وأسهموا في تطويره علميًّا وإداريًّا، بما عُرف عنهم من فقهٍ راسخٍ، وعدلٍ، ونزاهةٍ، وسعةِ علمٍ، مما جعلهم من الشخصيات البارزة في التاريخ القضائي الإسلامي.

فقد شارك عدد من العلماء والفقهاء المنتمين إلى أصول حضرمية في تولي ولاية القضاء في مناطق مختلفة من بلاد الشام، وأسهموا إسهامًا بارزًا في ترسيخ النظام القضائي، وإقامة العدالة على وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

1- القاضي أبو حازم الكندي:

هو القاضي أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز الحنفي البصري [1] السكوني الكندي [2]، من أشهر قضاة العصر العباسي الثاني، وقد عُرف في أوساط العلماء والفقهاء بقاضي القضاة؛ نظرًا لتولية هذه الولاية، فضلًا عن مكانته المرموقة وسعة علمه، حتى عُدّ من مشاهير قضاة الأمصار [3]، وأكثرهم علمًا وعدلًا، وأبعدهم صيتًا في عصره [4].

([1]) المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (د.ط)، دار الصاوي، القاهرة، (د.ت.ن)، ص321.

([2]) وكيع، أبو بكر محمد بن خلف بن حَيَّانَ بن صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البغدادي، أخبار القضاة، صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1366هـ/1947م، ج3، ص198.

([3]) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت.ن)، ج6، ص546.

([4]) الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.ن)، ج1، ص423؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، 1406 / 1986م، ج3، ص388.

وصـفه المؤرخون بأنه كان من خيار القضـاة وأعيان الفقهاء، ومن أئمة العلماء الورعين [5]، تميز بالنزاهة والديانة والأمانة [6]، واشـتهر بالحكمة في أحكامه ودقته في اسـتنباط المسـائل الشرعية [7]،

وكـان ممن يُقتدى بعلمهم وعملهم، لمـا امتـاز بـه من رجـاحـة العقل وغزارة الـدين [8]، وكثرة المناقب والمحاسن [9]، التي نُقلت عنه في كتب التراجم.

عدّ القاضـي أبو خازم الكندي من أشـهر القضـاة الحضـارمة، الذين تولوا ولاية القضـاء في الشام، فقد تولى فيها عديدًا من الولايات القضائية، منها: قضاء الأردن، وقضاء فلسطين، وقضاء دمشق، قبل أن يرحل إلى العراق ويتولى القضاء فيها[10] .

ظلّ القاضـي أبو خازم الحضـرمي قاضـيًا منصـفًا، ثابتًا على مبادئ العدالة حتى وفاته سنة 292هـ [11]، تاركًا وراءه إرثًا علميًّا وقضائيًّا كبيرًا؛ ومن أبرز مؤلفاته: المحاضر والسجلات، وأدب القاضي، ولباب الفرائض، وشرح الجامع الكبير للشيباني في فروع الفقه الحنفي، وغيرها من المصنفات [12]، التي كان لها أثر بالغ في تطوير الفكر القضائي الإسلامي وتنظيم العمل العدلي في العصر العباسي.

هذه المصـنفات كانت من المصـنفات المهمة، التي كان لها أثر بالغ في تطوير الفكر القضـائي الإسـلامي وتنظيم العمل القضـائي في العصـر العباسـي؛ بل هي جميعًا من المراجع النظرية العلمية في دراسة نظام القضاء في الإسلام.

لقد أسـهمت مؤلفاته، ولا سـيما أدب القاضـي، في بناء تقاليد قضـائية راسـخة ومتينة؛ إذ تضمّنت نصائح وإرشادات عملية توجه القضاة في تعاملهم مع الخصوم، والجناة، وأصحاب

([5]) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، مرآة الزمان في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، ج16، ص311.

([6]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، البداية والنهاية، حققه ودقق أصوله وعلق حواشـيه: علي شـيري، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشـر والتوزيع، (د.م.ن)، 1408ه/1988م، ج11، ص112.

([7]) ابن تغري بردي، يوسـف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، النجوم الزاهرة في ملوك مصـر والقاهرة، (د.ط)،وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ دار الكتب، مصر(د.ت.ن)، ج3، ص 388.

([8]) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص38.

([9]) الذهبي، العبر، ج1، ص423.

([10]) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج16، ص311.

([11]) الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ / 1993م، ج22، ص193.

([12]) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشـقي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، (د.م.ن)، 2002م، ج5، ص101.

الشكاوى، بما يحقق العدالة، ويصون كرامة الإنسان، ويجعل القضاء مؤسسة للإنصاف لا أداة للسلطان. ويُعدّ كتابه "المحاضر والسجلات"، من المصادر الرئيسة للقضاء الإسلامي؛ إذ يُعدّ مرجعية لا يمكن لكُتّاب القضاء الاستغناء عنه؛ إذ كان يجب عليهم دراسة كيفية تنظيم المحاضر والسجلات القضائية، حتى يعرفون ترتيب الأمور ووضعها في مواضعها، وهذا ما أكده ابن السِّمناني[13] بقوله:" وينبغي له أن يدرس المحاضر والسجلات وكتب الوقوف والوصية وكتب الأشربة والبياعات والمعاملات وما هو عون له على صنعته وما ندب إليه من كتابته، لأنه إذا لم يعرف ذلك لم يحسن أن يضع الأمور في مواضعها".

2- القاضي يحيى الكندي:

هو يحيى بن المُعافَى بن يعقوب الكندي نسبًا، الموصلي بلدًا [14]، وقيل يحيى بن الْمعَافى بن شُعَيْب بن حَكِيم بن يسَار أَبُو زَكَرِيَّا الْكِنْدِيّ[15]، عالم جليل القدر، ومن كبار الفقهاء الحنفية وأئمة الإفتاء في زمانه، وواحدًا من أبرز كتّاب الشروط الذين يُرجع إليهم في مسائل القضاء والمعاملات[16].

تولى القاضي يحيى الكندي القضاء في مناطق عديدة من بلاد الشام؛ إذ عُرف بالورع والضبط والحنكة، ثم رحل إلى الأندلس، وهناك وُلّي قضاء مَلَطية [17]، وبقي في ولايته القضائية حتى وفاته سنة 293هـ[18].

3- القاضي أبو القاسم الكندي:

هو القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن يعقوب الكندي الحمصي [19]، أحد قضاة حمص البارزين، الذين جمعوا بين العلم والعمل الصالح، تولى القضاء في مدينة حمص سنواتٍ طويلةً[20].

([13]) علي بن محمد بن أحمد الرحبيّ، روضة القضاة وطريق النجاة، تح: صلاح الدين الناهي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت/دار الفرقان، عمّان، 1404ه/1984م، ج1، ص117.

([14]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج22، ص324.

([15]) القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ط1، مكتبة مير محمد كتب خانه، كراتشي، (د.ت.ن)، ج2، ص218.

([16]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج22، ص324.

([17]) ملطية: مدينة ملطية مدينة قديمة بناءها الإسكندر المقدوني، وهي من البلاد المتاخمة للشام. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422ه، ج1، ص205.

([18]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج22، ص324؛ القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج2، ص218.

([19]) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 1415هـ / 1995م، ج36، ص229؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحية النحاس وآخرين، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1402هـ / 1984م، ج15، ص120.

([20]) الذهبي، العبر، ج3، ص33.

سار القاضي أبو القاسم في الناس سيرةٍ حسنةٍ جعلته محبوبًا بين العامة والخاصة، حتى لقّبه أهل حمص بـ" محدث حمص وقاضيها [21]، وظل على ولايته القضائية على أحسن ما يكون من القضاء حتى وفاته في سنة 324هـ[22].

4- القاضي أَبُو الْقَاسِم النخعي:

هو القاضي أَبُو الْقَاسِم عَليّ بن مُحَمَّد بن الْحسن بن كاس النَّخعِيّ الكاسي القَاضِي الْكُوفِي[23]، كَانَ إِمَامًا فِي الفقه، كبير القدر، شهير الصيت من ولد الأشتر النّخعيّ[24]، كان قاضيًا عادلًا اشتهر بين الناس بعدله وحزمه، وَلِي القَضَاءَ في الشَّامِ وَغَيْرِهَا من الأقاليم[25]، توفي في سنة 324هـ[26].

5- القاضي أبو علي الحضرمي:

كان القاضي أبو علي محمد بن خالد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي، واحدًا من أعلام الرواة والمحدثين بمدينة دمشق؛ معدودًا من رجال ثقات الحديث في عصره، وأصحاب المكانة المشهورة [27].

([21]) الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ج3، ص28؛ سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، (د.م.ن)، 1405 هـ / 1985م، ج15، ص266.

([22]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج36، ص230؛ الذهبي، العبر، ج3، ص33؛ ابن منظور، تاريخ دمشق، ج15، ص120.

([23]) القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج1، ص371.

([24]) هو إبراهيم بن يزيد بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّخْعِ، كان إمامًا في الفقه، يعظمه الأكابر، وكان سعيد بن جبير يقول عنه: "أتستفتوني وفيكم إبراهيم"، وكان شديد الهيبة، يهاب كما يهاب الأمير، وكان يتخوف من الفتوى، ولا يتكلم حتى يسأل، أخذ الناس عنه العلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وكان يسود أهل الكوفة بعلمه، وقد أدرك إبراهيم النخعي أبا سعيد الخدري، وعائشة رضي الله عنهما، وعامة ما يروى عن التابعين مثل: علقمة، ومسروق، والأسود، توفي في سنة 96ه، وهو ابن تسع وأربعين سنة. وقيل: ابن نيف وخمسين سنة، وكان الإمام الشعبي يقول عنه: " والله ما ترك بعده مثله". ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، الطبقات الكبرى، تح: زياد محمد منصور، ط2، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1408ه، ج6، ص279؛ ابن زبر، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تح: عبد الله أحمد سليمان الحمد، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1410ه، ج1، ص231؛ الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي، طبقات الفقهاء، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، تح: إحسان عباس، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م، ص82؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص20-23.

([25]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج24، ص159.

([26]) ابن زبر، تاريخ مولد العلماء، ج2، ص655؛ القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج1، ص371.

([27]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج24؛ 315؛

ولما كان القاضي أبو علي الحضرمي عالمًا في الفقه والحديث، فضلًا عن سيرته الحسنة، أُسند إليه القضاء في بيت لِهْيا، وهي قرية تقع على باب دمشق، وظل على قضائها إلى أن توفي في سنة 329هـ[28].

6- القاضي طلحة الكندي:

هو طلحة بن أحمد بن طلحة بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن بادي بن الحارث بن قيس بن الأشعث بن قيس الكندي العاقولي، ويُكنّى أبا البركات، وُلد يوم الجمعة بعد صلاة الظهر في الثالث والعشرين من شعبان سنة 432هـ بمدينة دير العاقول [29]، وفيها نشأ وتلقّى علومه الأولى على أيدي عدد من مشايخها [30].

ثم رحل إلى بغداد سنة 448هـ وهو في السادسة عشرة من عمره طلبًا للعلم، فنهل من كبار علماء المذهب الحنفي، حتى غدا من أعلام الفقه والمناظرة في عصره، وبعد أن أكمل تحصيله العلمي عاد إلى الشام في سنة 502هـ، وأُسند إليه قضاء دير العاقول[31].

كان القاضي طلحة الكندي قاضيًا أمينًا [32]، ومن الأئمّة والقضاة الصّالحين المشهود لهم بالكفاءة [33]، عالمًا فقيهًا، ذا ورعٍ وتقوى، وكان يعقد في المسجد حلقة للمناظرة يجتمع فيها طلاب العلم [34]، وظل في القضاء إلى أن توفي في سنة 512هـ[35]، بعد أن ترك سجلًا ناصعًا في العلم والقضاء والإصلاح الاجتماعي.

يتبيّن من تراجم هؤلاء القضاة الحضارمة أن إسهاماتهم القضائية في الشام لم تكن محدودة بزمنٍ أو مكانٍ؛ بل امتدّ على مدى قرونٍ، فكانوا ركيزةً من ركائز العدالة الإسلامية، وأنموذجًا

([28]) ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج17، ص124.

([29]) دَيْرُ العَاقُولِ: منطقة تقع في العراق بين المدائن والنّعمانية، تقع على شاطئ نهر دجلة. ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت الرومي، معجم البلدان، (د.ط)، دار صادر للنشر، بيروت، 1977م، ج2، ص520.

([30]) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص167؛ ج1، ص310؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35؛ ص335؛ السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي الدمشقي الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1425 هـ / 2005م، ج1، ص310.

([31]) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص167؛ ج1، ص310؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35؛ ص335.

([32]) السلامي، ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص310.

([33]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35؛ ص335.

([34]) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص167؛ برهان الدين، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح أبو إسحاق، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة الرشد، الرياض ، 1410هـ /1990م، ج1، ص455.

([35]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35؛ ص335؛ السلامي، ذيل طبقات الحنابلة، ج1، ص210.

للعالم والقاضـــي العادل، الذي يجمع بين الفقه والرواية، وبين الورع والحكمة، ذلك أســـهم في ترسيخ مكانة الشريعة الإسلامية في المجتمع الشامي وإرساء أسس القضاء الإسلامي الرصين.

المبحث الثاني: إسهامات الحضارمة القضائية في مصر:

كانت مصـر – عبر العصـور الإسـلامية – من أعظم الأمصـار علمًا وحضـارةً وتأثيرًا في مجالات الحياة المختلفة؛ إذ جمعت بين عمق الإرث الثقافي والفقهي، وبين مكانتها الســياســية والإدارية في قلب العالم الإسـلامي، ما جعلها تسـتقطب العلماء والفقهاء من شـتى الأقاليم، فكان من بينهم الحضـارمة، الذين اسـتوطنوها وأسـهموا في نهضـتها الفكرية والعلمية، وبرزوا في مجال القضاء، الذي يُعد من أهم ركائز الدولة الإسلامية ومظاهر تطبيق الشريعة.

وفي العصـر العباسـي الثاني كان للقضـاة الحضـارمة حضـورٌ قويّ في مصـر؛ إذ تولّى عدد منهم ولايات القضـاء في أهم المدن المصـرية، فكانوا قدوةً في العدل، وأئمةً في العلم، ورجال دولةٍ جمعوا بين الورع والفقه.

1- القاضي أبو عبد الله الكنديّ:

هو محمد بن عبيد الله بن عبد العظيم أبو عبد الله الكنديّ الحضـــرمي البصـــريّ[36]، الفقيه قاضـي القضـاة بالديار المصـرية، سـكن في البصـرة، وفيها أخذ العلوم الدينية من شـيوخها، ثم رحل إلى عدد من الحواضر الإسلامية، منها: مكة، وبغداد، وأخذ من شيوخها ما أخذ من العلوم، حتى أصبح من أعلام العصر العباسي الثاني في العلوم الدينية [37].

كان أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الكنديّ حسـن السـيرة، واسـع العلم، غزير المعرفة، ملمًّا بالأحكام القضـائية، وعندما ذاع صـيته في المشرق، أُسندت إليه ولاية القضـاء في مصـر، فكان من أشـهر قضـاتها وأعدلهم، عُرف بصـواب أحكامه، وسـداد رأيه، وكان يُطلق عليه قاضـي الديار المصرية[38].

([36]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج19، 202.

([37]) البكجري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله، إكمال تهذيب الكمال في أسـماء الرجال، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أســـامة بن إبراهيم، ط1، مكتبة الفاروق الحديثة، (د.م.ن)، 1422ه/2001م، ج10، ص266؛ الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الأنصاري الساعدي اليمني، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسـماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصـة بتصـحيح الخلاصـة للعلامة الحافظ البارع علي بن صـلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط5، مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر، حلب / بيروت، 1416ه، ص350.

([38]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج19، 202.

وعندما تولي القضاء سار في سيرة حسنة من العدل والإنصاف، والاقتصاص للمظلوم من الظالم؛ بصرف النظر عن مكانته، لذلك فقد عُرف عنه الشدة والصرامة في تطبيق الأحكام، ووصف بالقاضي العادل والصدوق [39].

وبعد أن قضى سنوات عديدة في قضاء مصر ترك القضاء، ثم اتجه إلى الرقة[40]، واستقر فيها، وتفرغ للعبادة والتحديث، حتى توفي فيها، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقيل 250هـ[41]، وقيل 260هـ [42]، والأرجح أنها الأخيرة لتواتر الروايات عليها.

2- القاضي إسماعيل الصدفي:

هو إسماعيل بن سعيد بن علس الصدفي من بني عُريب، أحد كبار العلماء الحضارمة، الذين تولوا قضاء مصر في العصر العباسي، كان من الرواة المشهورين للحديث النبوي، وله مشاركة في العلوم الأخرى[43].

تولى إسماعيل الصدفي قضاء مصر في ربيع الأول سنة 245هـ بعد عزل القاضي الحارث[44] بن مسكين، واستمر في منصبه مدة يسيرة، غير أن سيرته اتسمت بالحكمة وحسن القضاء، واشتهر بين الناس بعدله وتواضعه[45].

([39]) الأرنؤوط، شعيب وبشار عواد معروف، تحرير تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1417ه/ 1997م، ج3، ص285.

([40]) الرقة: بلدة عراقية قديمةمن أعمال الجزيرة، تقع على نهر الفرات. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص15.

([41]) ابن حبان، الثقات، ج9، ص145.

([42]) القضاعي، أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400 ه/ 1980م، ج426، ص46؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج19،ص 202؛ البكجري، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج10، ص267؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، تهذيب التهذيب،ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326ه، ج9، ص224؛ الخزرجي، خلاصة تذهيب تهذيب، ص350؛ الأرنؤوط، تحرير تقريب التهذيب ، ج3، ص285.

([43]) الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، المؤتَلِف والمختَلِف، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ /1986م، ج2، ص1625.

([44]) هو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي، يكنى أبا عمرو، كان فقيها على مذهب مالك بن أنس، توفي في سنة 250. ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى، تاريخ ابن يونس الصدفي المسمى بـ:" تاريخ المصريين"، جمع وتح ودراسة وفهرسة: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، ج1، ص100-101.

([45]) وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص240؛ الدار قطني، المؤتَلِف والمختَلِف، ج3، ص1625؛ ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ج1، ص 43؛ ابن ماكولا، بو نصر علي بن هبة الله بن جعفر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411ه/1990م، ج6، 95؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، رفع الإصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418ه/ 1998م، ص84.

وعلى الرغم من علو علم القاضي إسماعيل الصدفي وشهرته في العلوم والقضاء، فقد كتب التاريخ والطبقات والتراجم بخلت عن ذكر أي أخبار عنه؛ بل أقفلت حتى تدوين سنة وفاته، على الرغم من اشارتها إلى أن له أخبارًا طويلة وكثيرة.

3- القاضي أبو عبد الرحمن الحضرمي:

يُعد القاضي أبو عبد الرحمن جبر بن سعيد بن جبر بن سعيد الحضرمي الإسكندراني، من مشاهير الحضارم، الذين تولوا القضاء في مصر، فقد كان من الرواة الثقات في عصره المشهود لهم في علم الحديث والفقه، ولشهرته في هذه العلوم أسند إليه قضاء الإسكندرية مدة من الزمن، وسار في الناس سيرة حسنة، وقد توفي في سنة 288هـ، بعد أن خلف سمعة طيبة الأثر في القضاء[46].

4- القاضي أبو سَعِيد الصَّدَفيّ:

هو أبو سَعِيد بْن يونس الصَّدَفيّ، قاضي مصر الشهير، كان عالم زمانه في الفقه لا يضاهيه أحد، فقد وصفه أحد العلماء المعاصرين له بقوله:" وكان شيئًا عجبًا، ما رأينا مثله لَا قبله ولا بعده"، عزل نفسه عَنِ القضاء سنة 311هـ، فقد طلب أن يُعفى من القضاء، ووجّه رسولًا إلى بغداد يسأل في عزله، وأغلق بابه وامتنع من الحَكَم فاعفي عن القضاء، وحين جاء عزله عاد إلى بغداد، وقد كان موجودًا في سنة 313هـ [47]؛ أي إنه توفي بعدها.

5- القاضي محمد الحضرمي:

هو القاضي مُحَمَّدِ بْن عَبْد الرَّحْمَن بْنُ مُحَمَّدِ بْن مَنْصُور بْن مُحَمَّد بْن الفَضْلُ بْن مَنْصُور بْن أحمد بن يونس بن عبد الرحمن بن اللّيث بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن المغيث بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن العلاء بْن الْحَضْرَمِيّ الإسكندراني، ولد في الإسكندرية في سنة 514هـ، درس العلوم الدينية على يد كثير من العلماء، وأجازه جماعة من علماء المشرق والمغرب[48].

كان القاضي الحضرمي من بيت علم ورئاسة، وكان هو وأخوه، وأبوهما وجدّهما من مشاهير العلماء[49]، ونتيجة لعلمه وحسن سيرته أسند إليه قضاء الإسكندرية، كذلك أسند إليه في مدة

([46]) ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ج1- ص83.
([47]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج22، ص855.
([48]) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427 ه/ 2006م، ج6، ص29.
([49]) المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص29.

قضائه نيابة والي الإسكندرية مدة من الزمن، فكان قاضيًا ثقة، حريصًا على العدل، توفي في سنة 589هـ[50].

وأخيرًا؛ فمن تتبع سِيَر هؤلاء القضاة الحضارمة، الذين تولوا ولاية القضاء في مصر، يمكن القول إن الحضارمة أسهموا بدورٍ مؤثرٍ في بناء المنظومة القضائية المصرية في العصر العباسي وما بعده، فقد امتاز قضاة الحضارمة في مصر في هذا العصر بالعلم الواسع والنزاهة في القضاء، مما جعلهم محل تقدير الحكام والعلماء، فجسد القضاة الحضارمة في مصر نموذج العالم العامل، الذي جمع بين الفقه والتدريس، وبين الإدارة والعبادة، وقد تركوا إرثًا علميًا وقضائيًا أسهم في ترسيخ مبادئ العدالة الإسلامية في المجتمع المصري، وأسهم في تشكيل هوية القضاء في العصور الإسلامية اللاحقة.

المبحث الثالث: إسهامات الحضارمة القضائية في المغرب:

كان للحضارمة حضورٌ فاعل في الحياة العلمية والقضائية في الأمصار الإسلامية المختلفة، فلم يقتصر نشاطهم على المشرق وحده؛ بل امتد إلى المغرب العربي والأندلس إبّان تبعيتهما للخلافة العباسية، وقد عُرف عدد من القضاة الحضارمة هناك بسعة علمهم، وعدالتهم في القضاء، وحسن سيرتهم بين الناس، مما جعل أسماءهم تخلّد في كتب التاريخ والطبقات، ومن أبرز هؤلاء القضاة:

1- القاضي سليمان الكندي:

هو الأستاذ الفهامة الفقيه العالم الفضل الإمام القاضي العادل[51]، سليمان بن موسى بن سالم القطان القيرواني بلدًا، والكندي نسبًا، المشهور بلقب ابن الكحالة، ينتمي إلى أسرة كندية نزحت

([50]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص132؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص488؛ السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية /عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1387ه/ 1967م، ج1، ص454؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص29.

([51]) ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424 ه/2003م، ص107.

إلى القيروان، فكانت موطن ولادته ونشـأته العلمية؛ أخذ العلم على شـيوخها، ومن أشـهرهم القاضي ابن سحنون [52]، الذي كان من جملة أصحابه المقرّبين [53].

بعد أن استكمل تعليمه في القيروان، ارتحل سليمان الكندي إلى عدد من الحواضر الإسلامية الكبرى[54]، ونتيجة لكثرة اطلاعه وغزارة علمه، ومجالسته للقضاة، كان من أكثر القضاة دراية بالمسائل والأحكام، فرغب الولاة وحُكّام الأمصار بتوليته القضاء.

فمن الولايات القضائية ومصالح المسلمين التي تولاها القاضي سليمان الكندي، قضاء مدينة باجة[55]، ومن ثم توليه بعد ذلك مصالح القيروان من قبل حكام إفريقية الأغالبة[56]، وخاصة أبا إسحاق بن الأغلب[57]، الذي ولاه عدد من الولايات، ثم ولاه قضاء صقلية، ومكث يمارس القضاء

([52]) هو عبد السلام أبو سعيد: سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، علامة أهل القيروان في زمانه، وأصله شامي من حمص، قدم أبوه سعيد في جند حمص، وسحنون: لقب له باسم طائر حديد؛ لحدته في المسائل، برع في فنون عديدة، وألف كثير من المؤلفات، فلم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، توفي في سنة256ه. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس، (د. ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د. ت. ن)، ص101؛ ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، (د. ط)، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت. ن)، ج2، ص20؛

([53]) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص158.

([54]) القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: عبد القادر الصحراوي، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1966- 1970م، ج4، ص356.

([55]) باجة: من مدن إفريقية المشهورة، وهى مدينة كبيرة أزلية قديمة فيها آثار قديمة، تقع بالقرب من القيروان. المراكشي، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، (د.ط)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص160.

([56]) الدَّولَةُ الأغلَبيَّة أو دولة الأغالبة أو دولة بني الأغلب هي دولة عربية إسلامية أسسها إبراهيم بن الأغلب التميمي في إفريقية في سنة184هـ، عندما أرسله العباسيون لضبط أمر إفريقية التي كانت تعاني من الفتن والحروب والصراعات، وقد جعل الخليفة هارون الرشيد إبراهيم بن الأغلب ومن بعده أبنائه وأحفاده ملوكًا على إفريقية، فأقام إبراهيم بن الأغلب الخطبة لبني العباس على المنابر ورفع شعارهم، ودفع الخراج المقرر عليه، ونقش اسم الخليفة على السكة (النقود)، وشيد مدينة جديدة أطلق عليها العباسية، تمجيدًا لهم، وسار على هذا النهج خلفائه، وقد بلغت الدولة الأغلبية أوج قوتها وازدهارها في عهد الملك عبد الله الأول بن إبراهيم(196-220ه) وأخيه زيادة الله الأول بن إبراهيم(201-223ه)، إذ تمثلت المرحلة الثانية في تجهيز= =جيش قوي لفتح جزيرة صقلية والسواحل الإيطالية، وذلك في سنة 212 هـ، ثم تتابعت الجيوش لذلك حتى تمكن الجيش الأغلبي في عهد الملك محمد الأول بن الأغلب من الوصول إلى روما عاصمة الدولة البابوية وغزوها، ولم يرجعوا عنها حتى أعطاهم البابا يوحنا الثامن الجزية، وكان للدولة الأغلبية السيادة على البحر الأبيض المتوسط طيلة القرن الثالث الهجري، وبذلك فتحوا جزيرة مالطا سنة255ه، وقد انتهى حكم الأغالبة في سنة 296ه. ينظر: الخزاعلة، ياسر، دولة الأغالبة في إفريقية (تونس) 184 - 296هـ/799 - 908م، (د.ط)، زمزم ناشرون، (د.م.ن)، 2015م.

([57]) هو إبراهيم(الثاني) بن أحمد بن محمد بن الأغلب: من أمراء الأغالبة أصحاب إفريقية، كانت إقامته في القيروان، واليًا عليها لأخيه أبي الغرانيق (محمد بن الأغلب) حاكم دولة الأغالبة، ثم ولي إفريقية بعد وفاة أخيه سنة 261 هـ وكان عاقلًا محسنًا حازمًا، وفي مدة حكمه حدثت عدة ثورات فقمعها، وأمن الناس في عهده، وفي سنة 281ه انتقل إلى تونس فسكنها واتخذ بها القصور، وغزا الإفرنج، فافتتح كثيرًا من حصونهم وقلاعهم، ونتيجة لانتشار الفتن وكثر القتل شكاه أهل تونس إلى الخيفة المعتضد العباسي، فعزله سنة 289ه، فرحل إلى صقلّيّة غازيًا، فمات بها وحمل إلى القيروان. الزركلي، الأعلام، ج1، ص28.

فيها إلى أن توفي[58] في سنة 281هـ[59]، بعدما نشر بها علمًا كثيرًا، وخاصة الفقه المالكي، فعنه انتشر مذهب مالك في الأندلس[60].

1- القاضي أبو الحجاج الصَّدَفيّ:

كان القاضي أبو الحجاج يوسف بن حمود بن خلف الصَّدَفيّ القاضي المالكيّ، من أعيان مالكيّة المغرب، خيِّرًا، صالحًا، زاهدًا، فقيهًا، أديبًا، شاعرًا، ولي قضاء سَبْتَة[61]، وسار في الناس سيرة حسنة، وتوفي سنة 430هـ[62].

2- القاضي أَبَو عَبْد الله المهري:

هو أَبَو عَبْد الله مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الْمهرِي من أهل بجاية، رَحل إِلَى الْمشرق، وتنقل بين الشام وبغداد، والحجاز، ومصر، وفي رحلته افاد واستفاد، ثم عاد إلى بجاية وَولي قَضَائها ثَلَاث مَرَّات، صكان أخراها سنة 608هـ، وقدَ دخل الأندلس مرَارًا وَولي قَضَاء مرسية مدة من الزمن، ثم ولي قضاء مراكش[63]، وتُوفِّي فيها سنة 612هـ[64].

3- القاضي أَبَو جَعْفَر التجيبي:

هو أَبَو جَعْفَر القاضي أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الْعَزِيز بْن عَيَّاش التجِيبِي، سكن مَرّاكُش، كان عالمًا بالحديث والفقه، وعُني بالأدب وَكتب لملوك الْمغرب، وَلي قَضَاء سبته وتلمسان[65]، وتُوُفيّ فِي المُحَرَّم سنة 629هـ[66].

([58]) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج4، ص357.

([59]) الزركلي، الأعلام، ج3، ص125؛ قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1423 ه/2002م، ج1، ص561. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج4، ص153.

([60]) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج4، ص357.

([61]) سَبْتَةُ: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على برّ البربر تقابل الأندلس. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص182.

([62]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج29، ص315.

([63]) مَرّاكُشُ: من أعظم مدن المغرب وأجلّها، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين في حدود سنة 470ه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص94.

([64]) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ط1، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1415ه/1995م، ج2، ص164.

([65]) تلمسان: مدينة في المغرب كانت تتكون من مدينتين متجاورتان مسوّرتان، إحداهما قديمة والأخرى حديثة؛ الحديثة اختطّها الملثّمون ملوك المغرب، واسمها تافرزت، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير، يسكنها الرعية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص44.

([66]) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص105.

1- القاضي أَبُو عُمَر السَّكُونيّ:

هو القاضـي أَبُو عُمَر مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن خليل بْن إِسْمَاعِيل السَّكُونيّ، من بيت عِلْمٍ وجلالة، وكان من جِلَّة العُلماء، لَهُ تصـانيف فِي الفقه، ووُليّ القضـاء بمواضـع عديدة في بلاد المغرب، توفي في سنة 646هـ[67].

2- القاضي أبو محمد الصدفي:

هو القاضـــي أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصـــدفي الطرابلسي، الإمام الفقيه العمدة الأصولي العالم المتفنن القدوة، رحل للمشرق مرتين: الأولى سنة 624 هـــ، والأخرى سنة 633 هـــ، فأخذ عن علماء الإسكندرية، ثم قدم تونس وتولى قضاء الأنكحة، ثم قضـــاء الجماعة، وله كتب عديدة، منها: العقيدة الدينية وشـــرحها جلاء الالتباس، وكتاب في الجهاد، توفي في أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري[68].

وهكذا أسـهم القضـاة الحضـارمة في المغرب إسـهامًا عظيمًا في ترسـيخ مبادئ العدالة، ونشـر العلم، وتوسـيع دائرة الفقه المالكي، الذي كان المذهب السـائد في تلك الأقاليم، وتميّزت سـيرتهم بالعلم الواسع،

والورع، وحسـن السـيرة في القضـاء، هو ما جعل أثرهم العلمي يمتد أجيالًا بعد وفاتهم، ويُسـهم في صياغة الهوية القضائية والعلمية لبلاد المغرب الإسلامي.

الخاتمة:

لقد أظهر البحث مدى العمق العلمي والتأثير الحضـاري، الذي تركه القضـاة الحضـارمة في الحياة القضائية والعلمية في العصر العباسي وما تلاه، وتبيّن أن إسهاماتهم لم تكن مقتصرة على ممارسـة القضـاء فحسـب؛ بل تجاوزت ذلك إلى التأليف، والتعليم، والإفتاء، ونشـر الفقه والحديث في حواضر الإسلام الكبرى.

وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج المهمة، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- اتساع انتشار القضاة الحضارمة في الأمصار الإسلامية، ولا سيما في الشام، ومصر، والمغرب، هو ما يدل على عمق الحضور العلمي لحضرموت في العالم الإسلامي منذ العصور الأولى.

([67]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، 328.

([68]) ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ص275.

- تميز القضاة الحضارمة بسعة العلم، ونقاء السيرة، وحسن السمعة، وهو ما جعل الخلفاء والولاة يعتمدون عليهم في أهم الولايات القضائية في الدولة.
- أسهم القضاة الحضارمة في ترسيخ مبادئ العدالة الشرعية القائمة على المساواة والإنصاف، وكانوا مثالًا للصرامة في الحق، والاعتدال في الأحكام، والنزاهة في القضاء.
- كان للحضارمة القضاة دور بارز في نشر المذاهب الفقهية الكبرى، ولا سيما المذهبين المالكي والحنفي.
- أسهمت رحلات القضاة الحضارمة بين المشرق والمغرب في نقل العلوم والمعارف، وتبادل الخبرات بين المدارس الفقهية الإسلامية، مما أوجد تواصلاً علميًّا متينًا بين الحواضر الإسلامية.
- أظهر البحث أن القاضي الحضرمي لم يكن مجرد موظف إداري؛ بل كان عالمًا مصلحًا، ومربيًا للجيل، ومرجعًا دينيًّا واجتماعيًّا، أسهم في إصلاح شؤون الناس وتوجيههم.
- أكدت البحث أن إسهامات القضاة الحضارمة كانت جزءًا من الدور الحضاري العام لحضرموت، التي كانت على الدوام منبعًا للعلماء والدعاة والقضاة، الذين حملوا رسالة الإسلام إلى الآفاق كافة.
- من تراجم الحضارمة تبيّن أن كثيرًا منهم تركوا مؤلفات فقهية وتاريخية وحديثية أصبحت مراجع مهمة لطلاب العلم في العصور اللاحقة.
- أن الحضور الحضرمي في المؤسسات القضائية كان عاملًا أساسًا في توحيد المرجعية الفقهية الإسلامية، وتقريب المناهج العلمية بين المشرق والمغرب الإسلامي.

المصادر والمراجع:

أ) المصادر:

- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658هـ).

1- التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ط1، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1415هـ/1995م .

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: 630هـ).

2- الكامل في التاريخ، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت.ن).

- برهان الدين، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح أبو إسحاق (ت: 883هـ).

3- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1410هـ /1990م.

- البكجري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله(ت: 762هـ).

4- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، ط1، مكتبة الفاروق الحديثة، (د.م.ن)، 1422هـ/2001م.

- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت: 874هـ).

5- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ دار الكتب، مصر (د.ت.ن).

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ).

6- مرآة الزمان في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: 852هـ).

7- تهذيب التهذيب، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ.

8- رفع الإصر عن قضاة مصر، تح: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ/ 1998م.

- الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الأنصاري الساعدي اليمني (ت: 923هـ).

9- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط5، مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر، حلب / بيروت، 1416هـ.

- الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي(ت: 385هـ).

10- المؤتَلِف والمختَلِف، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ /1986م.

- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ).

11- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ / 1993م.

12- تذكرة الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م.

13- سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، (د.م.ن)، 1405 هـ / 1985م.

14- العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.ن).

- ابن زبر، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن (ت: 379هـ).

15- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تح: عبد الله أحمد سليمان الحمد، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1410هـ.

- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت:230هـ).

16- الطبقات الكبرى، تح: زياد محمد منصور، ط2، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1408هـ.

- السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت: 795هـ).

17- ذيل طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1425 هـ / 2005م.

- السمناني، علي بن محمد بن أحمد الرحبيّ (ت: 499 ه).
18- روضة القضاة وطريق النجاة، تح: صلاح الدين الناهي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت/دار الفرقان، عمّان، 1404ه/1984م.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911ه).
19- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية /عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1387ه/ 1967م.
- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت: 476ه).
20- طبقات الفقهاء، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، تح: إحسان عباس، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م.
- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي(ت: 333ه).
21- طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس، (د. ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د. ت. ن).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571ه).
22- تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 1415ه / 1995م.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (ت: 1089ه).
23- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، 1406 / 1986م.
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (ت: 799ه).
24- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح وتع: محمد الأحمدي أبو النور، (د. ط)، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت. ن).
- القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544ه).
25- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: عبد القادر الصحراوي، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1966- 1970م.
- القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: 775ه).

26- الجواهر المضـــية في طبقات الحنفية، ط1، مكتبة مير محمد كتب خانه، كراتشـــي، (د.ت.ن).
- القضاعي، أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي(ت: 742هـ).
27- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400 هـ/ 1980م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: 774هـ).
28- البداية والنهاية، حققه ودقق أصـوله وعلق حواشـيه: علي شـيري، ط1، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 1408هـ/1988م.
- ابن ماكولا، بو نصر علي بن هبة الله بن جعفر(ت: 475هـ).
29- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م.
- المراكشي، مجهول(ت: القرن السادس الهجري).
30- الاستبصار في عجائب الأمصار، (د.ط)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.
- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت:346هـ).
31- التنبيه والإشـراف، تصـحيح: عبد الله إسـماعيل الصـاوي، (د.ط)، دار الصـاوي، القاهرة، (د.ت.ن).
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر(ت: 845هـ).
32- المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط2، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، 1427 هـ/ 2006م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (ت: 711هـ).
33- تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحية النحاس وآخرين، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1402هـ / 1984م.
- وكيع، أبو بكر محمد بن خلف بن حَيَّانَ بن صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البغدادي(ت: 306هـ).

34- أخبار القضـاة، صـححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصـطفى المراغي، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1366هـ/1947م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت الرومي (ت: 626هـ).
35- معجم البلدان، (د.ط)، دار صادر للنشر، بيروت، 1977م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت: 292 هـ).
36- البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
- ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى(ت: 347هـ).
37- تاريخ ابن يونس الصدفي المسمى بـــ:" تاريخ المصريين"، جمع وتح ودراسة وفهرسة: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م.

ب) المراجع:

- الأرناؤوط، شعيب وبشار عواد معروف.
38- تحرير تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1417هـ/ 1997م.
- الخزاعلة، ياسر.
39- دولة الأغالبة في إفريقية (تونس) 184 - 296هـ/799 - 908م، (د.ط)، زمزم ناشرون، (د.م.ن)، 2015م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي.
40- الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، (د.م.ن)، 2002م.
- قاسم علي سعد.
41- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1423 هـ/2002م.
- محمد محفوظ.
42- تراجم المؤلفين التونسيين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.
- ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم.
43- شـــجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424 هـ/2003م.